آثار علمية دينية

رأي عالم أزهري في العلماء وحالهم في مصر

وصف مؤلف كتاب العلم والعلماء العالم الديني المسلم بأنه المرشد الى مصالح الدنيا وطريق الآخرة وما قاله في ذلك (ص ٨) : « بينما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم كأنه واحد منهم يرشد هذا بالعبارة وذاك بالاشارة، هذا بالاحاديث وهذا بالآيات، هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والمكتشفات، طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين، وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكماء الاوربيين. » الخ

وقال في (ص ٩) : العلماء لا تحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن. بل هي على الحقيقة أعم من ذلك وأشمل وأنفع . وظيفة لها دخل في سائر الاعمال والاحوال، وترتبط بسائر الامور الدنيوية والاخروية، لان العالم يعتبر مؤسس المبدأ الذي يسير عليه الانسان ويبني عليه سائر أفعاله المتعلقة بالمعاش والمعاد . وواضع الخطة التي تجري عليها الامة في سائر شؤونها المادية والادبية وغيرها.

ثم ذكر أن التعليم ثلاث مراتب أولها تعليم صغار المسلمين في المدارس الابتدائية المسماة بالمكاتب وثانيها تعليم جمهور الناس وثالثها التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي . ثم قال في علماء مصر (ص ١١) ما نصه : « ولكن من موجب الاسف أن علماءنا أعرضوا عن المرتبتين الاوليين ولم يعيروهما أقل التفات مع أنهما من أهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الامة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا بل هما اللذان ينبغي أن يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينية ويضيعون فيه الاعمار من غير أن يعود على الامة منه فائدة تذكر . على انه في الحين الذي يأسف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين اري أنهم لا يمكنهم أن يقوموا بهما حق القيام » الخ

ثم ألمّ بفائدة الارشاد وتعليم العامة وقال (ص ١٢) : ومما يوجب الاسف ان

هـذه الوظيفة السامية لايقوم بها العلماء الآن ايضاً وقد بني على إهمالها ما نراه من النقص العظيم وعلى قواعد هـذا الاهمال ثبتت جدرانه القوية التي قد (لا) تهدمها الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان شاء الله تعالى» اه

ثم قال في (ص ١٧) : «ولكن من اعجب العجب انهم أهملوا الآن هـذا الواجب وأعرضوا عنه فكان من نتائج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك حرمات الشرع حتى فيما يرجع الى مصالح هـذه الحياة الدنيا . بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز أمر الدين حتى كاد يعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف المشارب والاذواق»

ثم قال في ذلك بعد كلمات في أهل الطريق : «فوا اسفا على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . وا أسفا على تركة الاسلام التي تفرقت ايدي سبأ في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل ونسوها وشوهوها حتى صارت في ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئة . » الخ

وقال في الكلام على الكمال في الملكات والوجدان (ص ٣٢) : «وإنا نرى بأعيننا من العلماء المشهورين الذين أحرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هـذا المعنى وان ملكاتهم ووجداناتهم النفسية دنيئة ناقصة تباين مراكزهم الرسمية وتضاد منزلتهم بين الناس وانهم لايزال لهـم من الصفات الناقصة مايحطهم عن أكثر الناس وان كان ذلك لايتراءى الا لمن يباشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد ينبني على ذلك صدور أعمال منهم تعد من الاعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للامة والدين والشواهد على ذلك كثيرة »

إنا وان كنا نريد بيان رأي هذا العالم الازهري ابن العالم الازهري في وصف العلماء دون انتقاد او امتحان لايسعنا الآن نستدرك عليه ونقول ان في هؤلاء العلماء من يعد فخراً للعلم والدين بعلو الهمة وشهامة النفس وعزة الدين ووقار العلم كما يشهد العدو والصديق والقريب والغريب وكان ينبغي ان يصرح بذلك هنا

ثم قال في فصل «الكمال في التدبر والتأثير» وشدة حاجة العالم اليها (ص ٣٣) :

« اصبح علماؤنا اليوم فاقدين كل شيء من معنى النفوذ والتأثير عارين عن سائر موادهما ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لا اقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط بل واكتسبوا صبغة الاستقلال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم كذباً والنصح منهم غشاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

« لو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبناءهم اولا كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس (ليته استبدل بهذين اللفظين ماهو انزه منهما) وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا ما اكتسبوا قوة النفوذ والتأثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا في دين الله افواجاً ورأوهم بعين غير الأولى كأنهم ليس هم اولئك الاولون (كذا) ذلك لان الناس دائماً اسراء العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم دائماً لا يستهوون الا لمقال من يكتسب صفات الاحترام العام ولا يرضخون الا لمن يحرز قوة النفوذ (١) واذا كان الامر هكذا فلم لا نكتسب هذه القوة لنتمكن من نشر الحقائق الاسلامية ونتوصل الى إعلاء كلمة الله ثم لم لا نكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

« وهاهو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده واحدنا انظر لماذا علا دون أمثاله ولم وصل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى في سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العالية حتى امكنه ان يسود اكثر الذين يفضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عند الناس كآحاد الطلاب . أشيء جاء (بالصدفة) ام هذا نتيجة العمل والاجتهاد ؟ لاجرم ان هذا كان اولا نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان وإتقان العمل وذلك جعل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكسبته نفوذا آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذاك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن

(١) العامة تستعمل الرضوخ بمعنى الخضوع والامتثال وهو المراد هنا والا فالرضخ في اللغة هو العطاء القليل ولا يصح في هذا السياق

يعضدونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويلبي دعوته كثير من الناس وهو لو دعا اليها في بدء نشأته ما اجتمع اليه أكثر المجتمعين حوله الآن » اه

ثم أطال في وصف الشيخ وتفوقه مما لا حاجة الى ذكره وقد ذكرناه ليعلم القارئ ان المؤلف لم يكتب الا ما يعتقد ولذلك لم يسم الا واستثنى .

ثم انه انتقل الى الكلام على (الكمال في الفضل) فانتقد عادات العلماء وذكر من مخالفتهم لما عده كمالا ذلك لاسيما حاظم في حفلات التشريفات وتشييع الجنائز والمجامع وفي مجالسهم الخاصة الحافلة وفضل عليهم سائر الفرق . وقفى ذلك بذكر (التطور العام) اي المشاركة في فنون العصر وحال البشر في عامة شؤونهم وقال في (ص ٤٢)

« لكن هناك من العلماء من يرى تطورهم قاصراً على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لا يمكنه أن يخوض مع انسان في حديث ما فيتقنه وان جلس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تمجه الاسماع ويأباه الطبع السليم » اه

ثم تكلم في معالجة الجرائد والمجلات وقال (ص ٤٣) : « هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد كله كذب لا يجوز قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحجاز تام عن العالم وبعداً عنهم كأنه ليس على ظهر البسيطة وتجعله ايضاً مستقلا محتقراً في أعين المتنورين كما يحتقر الجاهل بأبسط الاشياء حتى انهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلا ومجاراتهم واحترامهم له تفضلا لانه في أعينهم رجل بسيط لا يعرف الأحكام الدين ولا يدري ما عليه الناس » . ثم قال في المجلات خاصة : « ومن أهم ما يجب الاطلاع عليه أيضا المجلات العلمية كالمقتطف والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لا يستغني عنها العالم وحبذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وإرشاداتهم المفيدة » اه ولنا نقل بقية

﴿ تقويم المؤيد لعام ١٣٢٣ ﴾

هذه هي السنة السابعة لهذا التقويم المفيد الذي يؤلفه محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد وقد صدر في أول المحرم مطبوعا بمطبعة الجمهور وهو فيما صار اليه من الشهرة وما صادفه من الاقبال والرغبة غني عن التقريظ له والترغيب فيه الآن بذكر ذاكر بعض ما يمتاز به في كل سنة عما قبلها وقد يستغني قراؤه ومقتنوه عن ذلك بما

عرفوا من فوق مؤلفه فى حسن الاختيار ومنه أن فتح فى هذه السنة بالحرب الروسية اليابانية واسعا ذكر فيه ملخص تاريخها وأكبر ملاحمها وأشهر مواقعها وصور قوادها فى البر والبحر . وفى غير هذا الباب من التطويل فى المسائل السياسية مالا يستغنى عن معرفته وفى باب التاريخ فصل طويل فى تاريخ تونس ودولها مزين بصورة الباي السابق رحمه الله والباي الحاضر وفقه الله . وثمن النسخة منه خمسة قروش ماعدا أجرة البريد ويطلب من المكاتب المشهورة .

الباب الخامس والعشرون

الأزهر ـ مشيخته وإدارته

ما كانت مشيخة الازهر فى زمن الازمان عرضة للتغيير والتبديل من الحكام كما نراها فى هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات فى بضع سنين ـ عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الامير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المتون فاختار الامير للمشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض إرادته وولي مكانه السيد عليا البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الامر كما يقال وفى هذا الشهر استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة وتلا الشيخ البيلاوي فى الاستقالة من مجلس ادارة الازهر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ عبد الكريم سلمان أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا والسيد أحمد الحنبلي شيخ رواق الحنابلة وكان سبق الشيخ وهؤلاء الاعضاء في الاستقالة من ادارة الازهر الشيخ أبو الفضل الجيزاوي عضو المالكية والشيخ سليمان العبد عضو الشافعية والعلة فى استقالة الجميع واحدة في الحقيقة لا يسمح لنا هذا الوقت بشرحها والتاريخ لا ينسى شيئاً

أما الشيخ حسونه فكان من علماء الازهر الذين علموا فى مدارس الحكومة ووقفوا على شئ من نظامها وكان الغرض من جعله شيخاً للازهر وجعل الشيخ محمد عبده معه فى الادارة تغيير نظام التعليم وترقيته فيه . وأما الشيخ سليم البشري